

الأثار الاقتصادية لرعاية الأئمة للرقيق

المدرس المساعد
محمد أحمد عبل الركابي

الأستاذ المساعد الدكتور
نزار عبد المحسن الداغر

المستخلص

لعبت الرعاية الأئمة الأطهار (عليهم السلام) للرقيق في المجال الاقتصادي في الزراعة والرعي والتجارة والصيرفة وغيرها من أوجه النشاط الإنساني الاقتصادي الفئات الاجتماعية الأخرى على الإسهام في هذه المجالات ، وبعثت فيها روح العمل والتنافس وعدم الاستسلام وشجع المريدين والأتباع لآل البيت (عليهم السلام) على ان يحذو حذوهم في رعاية الرقيق وتشجيعهم ودعمهم على ممارسة أوجه النشاط الاقتصادي. مما وسع من مفهوم الرعاية والعنق والمشاركة للرقيق مع ساداتهم فرسخ مفاهيم اجتماعية راقية أكدت المبادئ الإنسانية الإسلامية.

المقدمة :

حث الإسلام على العمل ورفع شأنه الى مصاف العبادة وقرنه بالأيمان وجعله من الموجبات المفروضة على كل مسلم وأوصله الى درجة الجهاد^(١) ، قال تعالى ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ، وقوله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

لقد أكد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) على العمل في أحاديث كثيرة اذ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) "ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن

الناس^١، وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله عز وجل يحب المحترف الأمين^٢. وفي رواية أخرى: إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف^٣. وعن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) انه قال: من طلب الدنيا حالاً تعطفاً على والد أو ولد أو زوجة بعثه الله تعالى ووجهه على صورة القمر ليلة البدر^٤. الى غير ذلك من الأخبار التي ضمتها كتب الحديث وقد دلت بوضوح على الأمر بالعمل والنهي عن البطالة والكسل. أي المتكلف في طلب المعاش بنحو زراعة أو صناعة أو تجارة وهذا لا ينافي التوكل.

وإما أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فقد عرف الإمام علي (عليه السلام) بالحث على العمل، من اجل إيجاد امة وسط تجمع بين الدنيا والآخرة في ظل الإسلام، فكان يحث إتباعه على العمل والجد والسعي، ويوبخ القاعدين منهم عن العمل، إيماناً منه بان الذي لا يعمل للدنيا، لا يعمل للآخرة فقال (عليه السلام): اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً^٥، وقد أوصى (عليه السلام) بقوله: أوصيكم بالخشية من الله بالسر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والاكْتِسَاب في الفقر والغنى^٦، وحث الإمام علي (عليه السلام) طلب الرزق بقوله: أن الله تبارك ليحب الاغتراب في طلب الرزق^٧، وكان (عليه السلام) يقول: إن لأبغض الرجل إن يكون كسلاً من أمر دنياه لأنه إذا كان كسلاً من أمر دنياه فهو في أمر آخرته أكسل^٨، أما الإمام الصادق (عليه السلام) فقول: كفى بالمرء أثماً إن يضيع من يعول^٩، وورد في بعض الروايات أن العمل وطلب المال الحلال بمثابة طلب الآخرة، فقد قام رجل للإمام الصادق (عليه السلام) وقال: والله إنا لنطلب الدنيا ونحب إن نؤتيها، فقال (عليه السلام): تحب إن تصنع بها ماذا؟ قال: أعود بها على نفسي وعيالي، واصل بها، وأتصدق بها، وأحج واعتمر. فقال (عليه السلام): ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة^{١٠}. ان ما بذله النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والبيت الأطهار (عليهم السلام) من جهود عظيمة في بناء الأمة بناءً رصيناً قائماً على الاكتفاء الذاتي والعمل وتحسين النفس من العوز والحرمان

والفقر المؤدي إلى الانحراف وارتفاع مستوى الجرائم وفساد المجتمع والدولة، لم يكن يقتصر على أحرار المجتمع وعلية القوم بل شمل بظل الرعاية الرحيمة والإنسانية للأرقاء ذلك أنهم كانوا اضعف فئات المجتمع وأكثرها استغلالاً وحرماناً وقد كانت للرعاية الكريمة للأئمة الأطهار(عليهم السلام) أثارها العميقة فيهم وتمثل ذلك في أوجه العمل ومجالاته الاقتصادية.

أولاً: ((الزراعة)).

إن أهم أوجه العمل ومجالاته التي تسهم في بناء المجتمع والإنسان وترقى بهما هي: الزراعة(الفلاحة) وهي من العناصر الرئيسة التي تتوقف عليها الحياة العامة الزراعة، وقد نظر الإسلام إليها نظرة بالغة الأهمية فدعا إليها وحث عليها ، فقد قام الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه يغرس النخل. وكذلك عمل الإمام أمير المؤمنين وأبناءؤه الطيبون من بعده ليبينوا للمسلمين أن لا حياة لهم إلا بالعمل والإنتاج. لقد حث الإسلام على عمران الأرض بالزرع والغرس لأنها كانت المصدر الوحيد لثروة الأمة في ذلك العصر، سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أي المال خير؟ قال: زرع زرعه صاحبه وأصلحه، وأدى حقه يوم حصاده(١٤). وجاء في عهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مالك الأشتر عامله على مصر ما نصه: وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد، وأهلك العباد ° . ان الإسلام يأمر بعمران الأرض ليظفر الإنسان بخيراتها ونعمها حتى يسلم من البؤس، والفاقة ٦ .

وكان بعض سكان الحواضر في نجد والحجاز يعملون في الزراعة وكل حسب إمكانيته وقدرته والمساحة التي يمتلكها من الأراضي الزراعية(١٧)، وكان قسم من الصحابة يمتلكون أراضي واسعة قاموا باستصلاحها وزراعتها بالاعتماد على الرقيق ٨ ، وبذلك نرى ان عمل الرقيق في الزراعة يعود الى وقت مبكر ٩ ، لأن إحياء الأراضي الموات كان يتم من قبل الرقيق المستخدم آنذاك في المجال الزراعي ١٠ .

ولأهمية الزراعة ومكانتها في بعض الأماكن كانت المكاتب بين السيد وعبد في بعض الأحيان تتم على إحياء وزراعة عدد من النخيل من قبل العبد لقاء حصوله على حريته مقابل ذلك في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما حصل مع سلمان الفارسي وقد أعانه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعض الصحابة من أجل أداء مكاتبته^(١).

ومن الآثار الاقتصادية المهمة لرعاية الأئمة (عليهم السلام) للرقيق في مجال الزراعة هو مزاولة عدد كبير من الموالي زراعة الأرض، إذ استخدمهم العرب المسلمون في زراعة أراضيهم وجعلوهم وكلاء عليها، فقد استعان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بمولاه أبي نزر^(٢) ليرى مزارعه في ينبع وقد حفر عيناً حملت اسمه، وضيّفه في ضيعة في بغيغة في المدينة^(٣). وكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينع^(٤). و"عين نولا" فإنها خالصة، إلا فخلات فيها بيد امرأة يقال لها بنت يعلى، مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٥).

كما مارس الموالي العمل الزراعي في أغلب أراضي الأئمة (عليهم السلام) وأصبحوا وكلاءهم فيها، والأئمة المعصومون (عليهم السلام) حينما ينهمكون في العمل الزراعي ويقبلون عليه، أما ليوجهوا أنظار مواليتهم إلى الحقيقة وهي إن حياتهم مرتبطة بالعمل والإنتاج وأن الزراعة إحدى مصادر دخولهم التي يديرون من خلالها حياتهم ويساعدون الآخرين وكان العمل الزراعي من أهم المصادر المعيشية للموالي من جهة ومن أهم موارد الدولة اقتصادياً، إذ وفر الأئمة (عليهم السلام) البيئة الصالحة لعمل هؤلاء ليكونوا أداة من أدوات الإنتاج في تنمية الاقتصاد الإسلامي آنذاك. ثم امتلك الموالي الأراضي الزراعية التي وهبها الأئمة (عليهم السلام): ومثال ذلك أن الأئمة (عليهم السلام) قد وهبوا الضياع والبساتين لمواليهم تكريماً لخصلة أو دور إيجابي قاموا به وتشجيعاً لهم في بناء الإسلام المحمدي الحقيقي ونشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، والذي عاش في مرحلة الابتعاد عنه والالتفاف حول البدع والانحراف والذي مارسته الحكومات غير الشرعية. ولعل أبرز الأمثلة على ذلك ما قد روي عن الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) أنه كان ماراً في بعض حيطان المدينة فرأى أحد الأرقاء أو العبيد بيده رغيف يأكل لقمة

ويطعم الكلب لقمة إلى أن شاطره الرغيف فقال له الحسن ما حملك على أن شاطرته ولم تغابنه فيه بشيء فقال استحت عيناى من عينيه أن أغابنه فقال له غلام من أنت فقال غلام أبان بن عثمان فقال والحائط قال لأبان بن عثمان فقال له الحسن أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك فمر واشترى الغلام والحائط وجاء إلى الغلام فقال يا غلام قد اشتريتك قال فقام قائماً فقال السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي قال وقد اشتريت الحائط وأنت حر لوجه الله والحائط هبة مني إليك فقال الغلام يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبني له^٦.

وقد تحدث أحد أبناء الإمام الكاظم (عليه السلام) أن الإمام قد توجه يوماً لزيارة مزرعة له في (ساية)^٧ وواجه في الطريق برداً شديداً فجاء له غلام صاحب مزرعة قرية بطعام وما يدفع به نفسه، فاشترى أبو الحسن (عليه السلام) الضيعة والرقيق بألوف الدنانير وأعتق العبد، ووهب له الضيعة^٨.

ومن خلال تلك الرعاية الكريمة للأئمة الأطهار (عليهم السلام) ابدع الموالي في مهنة الزراعة بعد أن أصبحوا أحرار وملاكاً للأراضي الزراعية بل أخلصوا في مهنتهم هذه وهو ما أدى إلى كثرة الإنتاج الزراعي وزيادة الموارد الاقتصادية الناتجة عنها مما جعلهم مستقلين وفي حالة اكتفاء ذاتي ولم يبقوا عالة على المجتمع مما قوي من مركزهم الاجتماعي الاقتصادي ومكانتهم في المجتمع بعد أن كانوا أضعف فئاته وأفقرهم، أضافوا إلى الدولة والمجتمع عناصر إيجابية منتجة مفعمة بمحبة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) الذي رعوهم وأضحوا عناصر بناء لا تهديم وعصيان للمجتمع.

ثانياً: ((الرعي)).

كانت مهنة الرعي من المهن التي مثلت الجانب الاقتصادي كانت هذه المهنة هي الغالبة في الجزيرة العربية، وهي سمة مميزة لسكانها عن الأقوام المجاورة لهم^٩، وكان الرعي يقع على عاتق الفئات الفقيرة وعلى الرقيق في أغلب الأحيان (٣٠)، وكان لأهل المدينة الكثير من الرعاة يرعون لهم ثروتهم الحيوانية^{١٠}، وقد عتق الأئمة (عليهم السلام) الرقيق الرعاة عندما لمس منهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مدى تقواهم وتمسكهم على التعاليم الإسلامية والأخلاق الكريمة. فيذكر في رواية عن خروج الإمام الحسن (عليه السلام) إلى سفر، فأضل طريقه ليلاً، فمر

براعي غنم، فنزل عنده، وأكرمه فلما أصبح دلّه على الطريق، فقال له الحسن (عليه السلام) إني ماض إلى ضيعتي، ثم أعود إلى المدينة، ووقت له وقتاً، وقال له تأتيني به. فلما جاء الوقت شغل الحسن (عليه السلام) بشي من أموره عن قدوم المدينة فجاء الراعي - وكان عبد الرجل من أهل المدينة - فصار إلى الحسين (عليه السلام)، وهو يظنه الحسن (عليه السلام) فقال : انا العبد الذي بت عندي ليلة كذا، ووعدتني ان أصير إليك في هذا الوقت وأراه علامات عرف الحسين (عليه السلام) انه الحسن (عليه السلام) فقال له: لمن أنت يا غلام ؟ فقال لفلان فقال (عليه السلام) كم غنمك؟ قال: ثلاث مائة. فأرسل (عليه السلام) إلى الرجل، فرغبه حتى باعه الغنم والعبد فأعتقه، ووهب له الغنم، مكافأة لما صنع مع أخيه، وقال (عليه السلام): أن الذي بات عندك أخي^٢.

أما الإمام الحسين (عليه السلام) فقد روي انه مر براع فأهدى الراعي اليه شاة: فقال له الحسين (عليه السلام): حر أنت أم مملوك؟ فقال: مملوك: فردها الحسين (عليه السلام) عليه، فقال له المملوك إنها لي؟ فقبلها منه، ثم اشتراها واشترى الغنم فاعتقه وجعل الغنم ل^٣.

ان هذه المعاملة الكريمة للأئمة (عليهم السلام) في هذا المجال الاقتصادي جعلت هؤلاء الرقيق عنصراً فعالاً في الاقتصاد الإسلامي وألغى التمييز الاجتماعي والحساسية التي يثيرها الانقسام الطبقي وجعل هؤلاء الرعاة على قدر المسؤولية في ممارسة مهنتهم ودورهم الاقتصادي باستقلالية وموارد مالية ناتجة عن ما امتلكوه من قطعان الغنم والماشية التي وهبها الأئمة لهم ولم يبقوا في حالة الأجير التابع والرقيق المستعبد فتحققت فيهم حالة الرقي الإنساني والشعور بالمساواة وإزالة آثار العبودية وجعلتهم ينطلقون في فضاء الحرية والاستقلالية والإبداع في مجالهم الاقتصادي .

لقد سعى الأئمة (عليهم السلام) منذ عهد الإمام علي (عليه السلام) على إجراءات مالية وفق أسس فقهية ومن ضمن هذه الإجراءات تدوير رأس المال وإصلاح موارد الزراعة والتجارة ، فأساس نظرية أهل البيت قائمة على تداول الثروة في المجتمع وتشجيع الإنتاج والاستهلاك معاً وتبدأ بتسريع دورة رأس المال وعدم قبول ركوده في المجتمع^٤.

ثالثاً: ((التجارة)).

كانت التجارة سبباً في انتعاش الحياة الاقتصادية للمسلمين في مختلف العصور الإسلامية، وتعد من الشؤون الحياتية المهمة لدى الشعوب والأمم، ولا بد لمن يمارسها إن يتصف ببعض المواصفات والشروط التي انبرى الإسلام لتوضيحها، إذا إن التجارة مهمة خطيرة ومسؤولية كبيرة لم يغفل الدين الإسلامي عن أهميتها^٥، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): التاجر فاجر والفاجر في النار إلا من أخذ الحق وأعطى الحق^٦، وقال الإمام علي (عليه السلام): يا معشر التجار الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، واللّه للربا في هذه الأمة أخفى من ديب النمل على الصفا، شوبوا إيمانكم بالصدق، التاجر فاجر، والفاجر في النار إلا من أخذ الحق وأعطى الحق^٧.

ومن هذا فان التاجر يقف موقفاً حساساً جداً، وان اقل خطأ يصدر منه قد يقذفه في المنحدر الذي يؤدي الى نفسه الشريعة وبتالي الخشية من العقاب في الآخرة، ولا بد له إن يأخذ الحق ويعطي الحق، ويميز بين الحق والباطل، فالمعيار التجاري في الإسلام ليس الحصول على الثروة بالأسلوب الأفضل ولا اكتنازها، وإنما التفكير بحال الناس ورعاية حال الضعيف الطبقة المحروما^٨.

وردت التجارة في أحاديث عدة منها:-

حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): تسعة أعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في السابياء، يعني الغنم^٩. ودعا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للأعاجم الذين شكوا له الحيف والظلم الاجتماعي بالبركة في تجارتهم فقال لهم: أن هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى ويتزوجون إليكم ولا يزوجونكم ولا يعطونكم مثل ما يأخذون فاتجروا بارك الله لكم^{١٠}. وقال (عليه السلام): تعرضوا إلى للتجارة فان فيها غنى لكم عما في أيدي الناس^{١١}. ودعا الإمام الصادق (عليه السلام) إلى العمل في التجارة فقال: لا تدعوا التجارة فتهونوا،

اتجروا بارك الله لكم^٢ ، وهي دعوة للاكتفاء الذاتي. وقال (عليه السلام): التجارة تزيد في العقل^٣ .

اهتم الإمام الصادق (عليه السلام) بالتجارة إلى جانب الزراعة وكان يعطي ماله أحياناً بالمضاربة لمن يتجر به، ثم يحاسب ويستوفي حقه وربحه منه، لا حياً في الأرباح واستزادة المال والثروة، بل رغبة منه في العمل وفي دفع عجلة الاقتصاد في الجماعة الإسلامية إلى الأمام. فقد عمل الامام الصادق (عليه السلام) باستثمار أمواله في التجارة لتحقيق أهداف متعددة منها استقلال مواله اقتصادياً وان يكونوا قادرين على إعالة أنفسهم ويكونوا لها دور اقتصادي في المجتمع الإسلامي وبذلك أصبحوا عناصر فاعلين في المجتمع وقادرين على تحقيق أهداف الأئمة في نشر الفكر الإسلامي الحمدي. فقد ذكرت المصادر التاريخية رواية محمد بن عذافر^٤ وقصة أبيه مع الإمام الصادق (عليه السلام) روى محمد بن عذافر عن أبيه قال: دفع لي أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) سبعمائة دينار وقال: يا عذافر اصرفها في شيء ما، وقال: ما افعل هذا على شره مني ولكني أحببت إن يراني الله تبارك وتعالى متعرضاً لفوائده، قال عذافر: فربحت فيها مائة دينار، فقلت له في الطواف: جعلت فداك قد رزق الله عز وجل فيها مائة دينار، فقال (عليه السلام): أثبتها في رأس مالي^٥ . كما إن الفكر الجعفري جاء شمولياً احتوى جميع المكاسب ومعايش العباد ، فأشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى إن التجارة والمكاسب والإجارات والصناعات هي وجوه رزقهم التي أباحها الله لهم^٦ .

رابعاً: ((الصيرفة)).

من المهن التي زاولها موالى الأئمة الصيرفة، والصيرفي هو صراف الدراهم ونقّادها^٧ ، والصرف استبدال نقد بنقد، ومن يحترف هذه المهنة يعرف بالصراف والصيرف والصيرفي^٨ ، وقيل الصيرفي المحتال المتصرف في الأمور^٩ ، وكانت المهمة الأولى للصيرافة هي تقييم النقود من حيث جودتها ووزنها، وهذا ما يتطلبه تعدد العملات وأثر التداول على وزنها، وهي مهمة ضرورية للمعاملات التجارية، كما

يقوم الصّراف بتحويل النقود أو صرفها لأغراض التجارة خاصة، ولم يكن سعر التحويل يعتمد على النقود وحدها بل على حالة الأسواق والاعتبارات التجارية وسعر الذهب والفضة، وتوسعت أعمال الصيارفة فأخذوا يشتغلون بالتسليف ويقبلون الودائع ^{١٠}.

ومن ابرز الصيارفة سدير الصيرفي والذي قال لأبي جعفر (عليه السلام) حديث بلغني عن الحسن البصري فإن كان حقاً فإننا لله وإننا إليه راجعون قال: وما هو؟ قلت: بلغني أن الحسن كان يقول: لو غلى دماغه من حر الشمس ما استظل بحائط صيرفي ولو تفرثت كبده عطشا لم يستق من دار صيرفي ماء وهو عملي وتجارتي وفيه نبت لحمي ودمي ، ومنه حجي وعمرتي ، قال: فجلس ثم قال : كذب الحسن خذ سواء وأعط سواء فإذا حضرت الصلاة فدع ما بيدك وانهض إلى الصلاة أما علمت أن أصحاب الكهف كانوا صيارفاً ^{١١}.

ومن الموالي الذين مارسوا مهنة الصيرفة خارجة بن محمد بن عبد الله بن نافع الجهني، وهو كوفي صيرفي ^{١٢} ، وعبيد بن أمي بن ربيعة المرادي، وهو كوفي صيرفي، أبو محمد ^{١٣} ، وهارون بن خارجة الصيرفي مولى كوفي، أبو الحسن، وأخوه مراد صيرفي، وابنه الحسن ^{١٤} ، ومن الموالي ومحمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي، مؤمن الطاق وصاحب الطاق، ويلقبه المخالفون شيطان الطاق، ومحمد بن علي بن إبراهيم بن موسى أبو جعفر القرشي مولى، صيرفي وغيرهم ^{١٥} . ولم يفارق سلمان المحمدي عمله حتى بعد أن أصبح أميراً على المدائن ^{١٦} ، وعندما سئل عن ذلك قال: إني أحب أن أكل من عمل يدي ^{١٧}.

خامساً: ((الوكالات المالية)).

من المهن المهمة والخطيرة هي التي مارسها الموالي هي وكالة الأئمة (عليهم السلام) لجمع الحقوق الشرعية: فقد منحهم الأئمة (عليهم السلام) الثقة ليكونوا وكلاء لهم في استلام الحقوق الشرعية وفي مقدمتها فريضة الخمس والخمس عبارة عن ضريبة مالية واضح مصدرها ومصرفها ومقدارها. فمصدرها: الغنائم، وكل فائدة يستفيد منها

الإنسان، والغوص، والكنز، والمعدن، وقسم من الأرض، وما اختلط من الحلال والحرام. ومصرفها: اليتامى، والمساكين، وأبناء السبيل من ذرية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمصالح الإسلامية بنظر الإمام ونائبه^٨.

يؤلف الخمس مصدراً من مصادر الأئمة (عليهم السلام) المالية، إذ أصبح الأئمة يتمتعون باستقلال مالي تام، فالإمام غير محتاج لعطايا الخلفاء التي تكون مشروطة بطاعتهم وإتباع أهوائهم من جهة ويستطيع الإمام أيضاً تغطية نفقاته والصرف على نشاطاته الدينية المختلفة من جهة أخرى مما أدى إلى تقوية مركزه بين المسلمين. وقدمت مؤسسة الوكلاء خدمات كثيرة فكانت تقوم بالإنفاق على الفقراء والمحتاجين وعلى العلماء ورجال الدين وتنفق أيضاً على مشاريع ذات نفع عام للمسلمين.

ولم يكن العباسيون بعيدين عن تحركات ونشاطات مؤسسة الوكلاء ولم يكونوا راضين عن هذا الوضع وواجهوا تحركات الأئمة ووكلائهم وعدوا مسألة جمع الأموال من اختصاص الخليفة ولذلك مارسوا عملية اضطهاد الأئمة ووكلائهم كلما سنحت الفرصة واعتبرت سياستهم سلبية على مؤسسة الوكلاء وانعكست آثارها على هذه المؤسسة مما جعل أغلب أعمالها ذات طابع سري ولكنها مع وجود هذا التحدي استمرت في البقاء والتطور وتكيفت مع هذه السياسة.

أما اختيار الوكلاء لم يكن يخضع لمعايير دينية بالدرجة الأساسية أي إن هؤلاء لم يكونوا أفضل الموجودين وأعلمهم بالشريعة وأكثرهم التزاماً بها لكن تم اختيارهم على أساس الخبرة بالتجارة أو بمهنة الصيرفة أو بالبيع بالأسواق وربما عمل الوكلاء على التأثير على الناس وكسب ثقتهم وحثهم على دفع الخمس، ومن المؤكد إن هذه الأعمال كانت تقود إلى نجاح الوكيل في عمله لأن الوكيل إذا كان يعمل في التجارة فمن السهل عليه التعامل المالي مع دافعي الخمس من جهة وتبعده عن الشبهات التي قد يتعرض لها من مراقبة السلطة العباسية من جهة أخرى ولم تكن هذه الوظيفة محصورة بالموالي دون العرب. بل كان للوكلاء العرب مثل نصر بن قابوس^٩ وغيره دوراً مهماً في عملية البناء والتأسيس.

فقد ذكرت المصادر مجموعة من الوكلاء الموالي نصت على انهم كانوا وكلاء للأئمة (عليهم السلام) ^(١٠) وكان من أبرزهم عبد الله بن أبي يعفور، والمعلّى بن خنيس، والمفضل بن عمر، وعبد الرحمن بن الحجاج، ويونس بن يعقوب، وخالد الجوان، وزباد القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي، وعلي بن ابي حمزة البطائني، وصفوان بن يحيى، والحسن بن راشد، وأيوب بن نوح بن دراج النخعي مولا هم الكوفي.

الخاتمة :

خلاصة مما تقدم في مجال ممارسة مهنة التجارة ومهنة الصيرفة فضلاً عن وكالة الأئمة في استلام الحقوق الشرعية وصرفها في أوجهها الشرعية التي كان الأئمة الأطهار (عليهم السلام) يقيمون عليها.

ان الأئمة (عليهم السلام) أعدوهم إعداد خاص ليمارسوا هذه الأعمال وليساهموا في المجتمع بهذا الجانب وهذه المؤهلات هي آثار لتلك التربية وذلك الإعداد، ومن ثم فأن ذلك الأثر على شخص هؤلاء اثر هو الآخر على الاقتصاد عموماً وكما يأتي:

- جعل الرقيق في مكانة اقتصادية ودية مرموقة محترمة في المجتمع ورفع من قدرهم وزاد من قوتهم في المجتمع وتأثيرهم بعد ان غادروا مواقع الضعف والمعاناة الإنسانية فزاد من دائرة النفوذ الاجتماعي والنفسي والديني ووسع من قاعدة الأتباع والمريدين والمحبين للأئمة الأطهار (عليهم السلام) وقوى من مركزهم ونفوذهم في مواجهة السلطات الغاشمة التي كانت تضيق عليهم الخناق ففتحوا جبهات اجتماعية واسعة ضد تلك السلطات لم تستطيع تلك السلطات التغلب عليها او الحد من تأثيرها على أفراد المجتمع وترسيخ مكانتهم الرفيعة وتأكيد أحقيتهم في الخلافة ومظلوميتهم فاستمرت موجات التأثير تتمدد وتتسع ولم تستطيع السلطات الغاشمة ان تقضي عليها .

٢- رقد المجتمع بموارد اقتصادية وممارسة نشاطات مالية وتجارية رفعت من المستوى المعيشي والاقتصادي لفئة الرقيق، التي ازدادت اتساعاً بفعل الفتوحات وأسهمت في رفع الحيف الاقتصادي عنه فلم يعودوا عالة على المجتمع وأصبحوا مصدر مهم في ازدهار الاقتصاد الإسلامي وقللت من حالة الفقر والعوز ليكونوا عناصر بناء لا تهديم بفعل حالة القهر والحقد والتمرد وفي ذلك علاج اقتصادي ونفسي واجتماعي يتم تداوله في أدبيات الاقتصاد الحديث.

٣- ان الثقة التي منحها الأئمة الأطهار (عليهم السلام) للرقيق ليكونوا وكلاء لهم في تسلم الحقوق ومنها فريضة الخمس رفعت من منزلة هؤلاء الرقيق ومكانتهم الاجتماعية وأضفى عليهم هالة من الاحترام والتقدير مما جعلهم أكثر تأثيراً في المجتمع فنشروا رسالة ال البيت (عليهم السلام) في المجتمع وفكرهم وعلومهم وأخلاقياتهم فوسع من قاعدة الأتباع ومحبين لآل البيت (عليهم السلام). وبقي على جذوة النور تشع في أركان المعمورة بين الشعوب والأمم التي دخلت الإسلام وأفشلت كل مساعي التصنيف والحصار والاضطهاد للأئمة (عليهم السلام).

- شجعت الرعاية الكريمة للأئمة الأطهار (عليهم السلام) للرقيق في المجال الاقتصادي في الزراعة والرعي والتجارة والصيرفة وغيرها من أوجه النشاط الإنساني الاقتصادي الفئات الاجتماعية الأخرى على الإسهام في هذه المجالات وبعثت فيها روح العمل والتنافس وعدم الاستسلام وشجع المريدين والأتباع لآل البيت (عليهم السلام) على ان يحذو حذوهم في رعاية الرقيق وتشجيعهم ودعمهم على ممارسة أوجه النشاط الاقتصادي المذكورة مما وسع من مفهوم الرعاية والعنق والمشاركة للرقيق مع ساداتهم فرسخ مفاهيم اجتماعية راقية أكدت المبادئ الإنسانية الإسلامية والحقيقية التي طالما سعى الأئمة

الأطهار(عليهم السلام) إلى ترسيخها في مواجهة موجات التحريف وطمس الإسلام والرجوع إلى الجاهلية ومظاهرها الفاسدة التي صبت في مصالح الفئات الحاكمة التي كانت تستفيد منها في استمرار حكمها وظلمها وفسادها .

هوامش البحث :

- (١) محمد عمر شاهين، تاريخ الموالي، ص ٤٥.
- (٢) سورة التوبة، الآية ١٠٥.
- (٣) سورة الجمعة، الآية ١٠ .
- (٤) الزمخشري، ربيع الإبرار، ج٢/٥٤٣، موسوعة العقائد الإسلامية، ج٢/٤٣٧.
- (٥) الطبراني، المعجم الأوسط، ج٨/٣٨٠.
- (٦) الكليني، الكافي، ج٥/١١٣.
- (٧) زيد بن علي ، مسند زيد بن علي، ص ٢٥٥.
- (٨) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص ١٥٦؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٧٦.
- (٩) المجلسي، بحار الأنوار، ج١/١٤٢؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٢/٩.
- (١٠) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/١٥٧؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٧/٧٨.
- (١١) الكليني، أصول الكافي، ج ٥، ص ٨٥؛ المجلسي، مرآة العقول، ج ١٩/٣٣؛ عباس القمي، منازل الآخرة، ص ٤١.
- (١٢) الطوسي، المبسوط، ج ٦/٣؛ الحلبي، تحرير الأحكام، ج ٢/٢٤٩.
- (١٣) الكليني، أصول الكافي، ج ٥/٧٣. الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٦/٣٢٨. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٢/١٩.
- (١٤) الصدوق، الأمالي، ص ٤٣١؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١١/٥٣٧.
- (١٥) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ١٣٧؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ج ٥/١٥٤.
- (١٦) القرشي، العمل وحقوق العامل في الإسلام، ص ١٦٩.
- (١٧) عبد الله محمد السيف ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز ، ص ٧٤.

- (١٨) سليمة كاظم حسين ، موالى الصحابة، ص ٩٨.
- (١٩) جواد علي، المفصل، ج ٧/٢٤.
- (٢٠) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٣٢؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٥٢/٤.
- (٢١) ابن هشام، السيرة النبوية ٨٥٢؛ ابن سعد، الطبقات، ج ١/١٨٥؛ احمد شفيق، الرق في الإسلام، ص ٩٠-٩١.
- (٢٢) كان أبا نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم فرغب في الإسلام صغيرا فأسلم عند النبي (ص) فكان معه في مؤنته ثم كان مع فاطمة (ع) ثم مع ولدها وكان يقوم بضيعتي علي (ع) اللتين في البقيع تسمى إحداهما البغيغة والأخرى عين أبي نيزر. ينظر: ابن حجر، الإصابة، ج ٧/٣٤٣.
- (٢٣) عباس القمي، الكنى والألقاب، ج ٣/١٣٨؛ محمد عمر شاهين، تاريخ الموالى، ص ٤٧.
- (٢٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤١/١٣٧.
- (٢٥) ابن شبة النميري، تاريخ المدينة ، ج ١/٢٢٢.
- (٢٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٦/٣٤.
- (٢٧) ساية: مزرعة فيها نخل ومزارع وموز ورمال وعنب واصلها لولد علي بن أبي طالب (ع) في المدينة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥/٣٠٠.
- (٢٨) الطبري، دلائل الإمامة، ص ٣١١؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣/٣١؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٩/٢٧؛ الحر العاملي ، أعيان الشيعة، ج ٢/٧.
- (٢٩) احمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج ١/٦٥.
- (٣٠) ابن الأثير ، أسد الغابة، ج ١/٧٩ - ١٢٠ ؛ ابن حجر، الإصابة ، ج ١/٣١.
- (٣١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (ص) ، ص ٢٩٦؛ رائد محمد حامد حسن الطائي، الرقيق في صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٤٧.
- (٣٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)، موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) ، ص ٧٤١؛ هادي الميلاني، قادتنا كيف نعرفهم، ج ٣/٥٦٤؛ عبد العظيم المهدي البحراني ، من اخلاق الحسين (ع) ، ص ١٠٩؛ البياتي ، الأخلاق الحسينية ، ص ٨٣ .

- (٣٣) ابن حزم، المحلى، ج٨/٥١٥؛ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)، موسوعة كلمات الامام الحسين، ص٩١١.
- (٣٤) نزيه محيي الدين، السياسية الاقتصادية للإمام علي، ص٢٢.
- (٣٥) نور الله علي دوست الخراساني، ميزانية أهل البيت (ع)، ص١٢٥.
- (٣٦) الحلي، تذكرة الفقهاء، ج١٢/١٧٦؛ البحراني، الخدائق الناضرة، ج١٨/١٩.
- (٣٧) الكليني، الكافي، ج٥/١٥٠؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٣/١٩٥.
- (٣٨) نور الله علي دوست الخراساني، ميزانية أهل البيت (ع)، ص١٢٦.
- (٣٩) الصدوق، الخصال، ص٤٤٦؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج١٧/١١٩.
- (٤٠) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤/٤٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٢، ص١٦٠.
- (٤١) الكليني، الكافي، ج٥/١٤٩؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٢/٥.
- (٤٢) الكليني، الكافي، ج٥/١٤٩؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٧/٣؛ هادي النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع)، ج٢/١١٢.
- (٤٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٢/٨؛ المجلسي، مرآة العقول، ج١٩/١٢٩.
- (٤٤) محمد بن عذافر بن عيسى الخزاعي الصيرفي، كوفي مولى. ينظر: الطوسي، رجال الطوسي، ص٢٩٢.
- (٤٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٧/٥٦؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج١٧/١٢٨.
- (٤٦) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢/٣٤٧؛ الأنصاري، المكاسب، ص٦.
- (٤٧) ابن منظور، لسان الميزان، ج٩/١٩٠؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١٢/٣٢١.
- (٤٨) الجوهري، الصحاح، ج٤/١٣٨٦.
- (٤٩) الزبيدي، تاج العروس، ج١٢/٣٢١.
- (٥٠) عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص١٩٢؛ الدجيلي: بيت المال نشأته وتطوره، ص١٦٤.
- (٥١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٢/١٠٠؛ الجوهري، جواهر الكلام، ج٢٢/١٣١؛ الخوانساري، جامع المدارك، ج٣/٤٤.
- (٥٢) الطوسي، رجال الطوسي، ص٢٠٠.
- (٥٣) النفرشي، نقد الرجال، ج٣/١٦٩.

- (٥٤) الطوسي، رجال الطوسي، ص ٣١٨
- (٥٥) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٣٢.
- (٥٦) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء ١٠/١٩٧؛ عبد الواحد مظفر، سلمان الحمدي أبو عبد الله الفارسي، ص ١٠٠.
- (٥٧) الصنعاني، المصنف ٨/٤١٨؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٢/٣٩١؛ حسين النوري الطبري، نفس الرحمن في فضائل سلمان، ص ٥٥٥.
- (٥٨) عبد الله احمد اليوسف، الخمس فلسفته وأحكامه، ص ١١-١٢.
- (٥٩) نصر بن قابوس اللخمي روى عن أبي عبد الله وأبي إبراهيم وأبي الحسن الرضا عليهم السلام وكان ذا منزلة عظيمة عندهم. انه كان وكيلا لأبي عبد الله عليه السلام عشرين سنة. ولم يعلم انه وكيل وكان خيرا " فاضلا. ينظر: الحلبي، خلاصة الأقوال، ص ٢٨٥.
- (٦٠) علي عبد الزهرة الفحام، وكلاء الأئمة في القرن الثاني الهجري، ص ١٩٥.